الإشاعة السياسية في خضمّ الصّراع الزّعامي الخفي بين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة

Political rumor in the midst of the hidden leadership conflict between Saleh ben Youssef and Habib Bourguiba

أ.حسن النجار

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية (تونس)، najjar_hassen2014@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/04/23 تاريخ القبول: 2020/06/17 تاريخ النشر: 2020/07/30

الملخص:

كان للإشاعة السياسية حضور بارز في مختلف أطوار ومراحل الصّراع اليوسفي البورقيبي. وقد حاولنا في هذا المقال إبراز مدى تأثير انتشار الإشاعة على مسار هذا الصّراع الزّعامي في مرحلته الخفية.

سعينا في العنصر الأوّل من هذا البحث إلى التعريف بالإشاعة استنادا إلى أبرز المعاجم واستئناسا بأهم الدّراسات النفسية والإجتماعيّة التي اهتمّت بهذه الظّاهرة. أمّا في العنصر الثّاني فقد تناولنا بالبحث الصراع اليوسفي البورقيبي في مرحلته الخفيّة. وفي العنصر الثّالث والأخير، قمنا بتحليل مضامين هذه الإشاعة ودواعيها وأبرز تداعيّاتها. فما الدّور الذي لعبته الإشاعة في هذه المرحلة الخفيّة من الصّراع؟ وكيف تمكّن الحبيب بورقيبة من ردّ الإعتبار لزعامته التي كاد أن يطيح بها غريمه صالح بن يوسف؟

الكلمات المفتاحية: الإشاعة ؛ علي المعاوي; الحبيب بورقيبة;صالح بن يوسف;الزّعامة

Abstract:

Political rumor had a prominent presence in the various phases of the conflict between Habib Bourguiba and Salah Ben Youssef. In this paper, we attempt to highlight the impact of the spread of rumor on the course of this leadership conflict in its hidden phase.

We have sought in the first element of this paper to define the rumor, using the most prominent dictionaries, and the most important psychological and social researches interested in this phenomenon. As for the second element, we approached the" Youssefi "and "Bourguibi" conflict in its hidden phase. And in the third and last element, we analyzed the implications of this rumor, its causes and the most prominent repercussions.

So, What role did the rumor play in this hidden phase of the conflict? and how could Habib Bourguiba restore respect for his leadership threatened by his rival Saleh Ben Youssef?

Keywords: The rumor; Ali Al-Maawi; Habib Bourguiba; Saleh ben Youssef; Leadership

المقدمة

لعبت الإشاعة في مراحل مختلفة من الصّراع اليوسفي البورقيبي دورا أساسيّا- إن لم نقل حاسما- في توجيه هذا الصّراع وفي قلب معادلاته. وسوف أقتصر في هذا البحث على دراسة " إشاعة" مطالبة المناضل علي المعاوي[1] بمحاكمة الزّعيم الحبيب بورقيبة[2] وطرده من الحزب، وذلك خلال انعقاد المجلس الملّي للحزب الحر الدّستوري التونسي الجديد في

صائفة 1949. وقد نفى علي المعاوي هذا الخبر في مذكّراته، كما نفته بعض الصّحف التّونسيّة في تلك الفترة. ولذلك فإنّنا قد اعتبرنا هذا الخبر الذي انتشر انتشارا واسعا في صفوف الدّستوريّين إشاعة، ولا نقصد بذلك أنّ الخبر مكذوب.

بغض النّظر عن مدى صحّة أو خطأ هذه الإشاعة، فهي حسب تعبير جان نويل كابفيرير (Jean-Noël Kapferer) "*تطير وتزحف وتتعرّج وتعدو، وهذا ما يجعلها على المستوى المادّي أشبه بحيوان مباغت وسريع الحركة يتعذّر أسره ولا ينتمي إلى أي فصيلة معروفة. أما تأثيرها في البشر، فأشبه بالتّنويم المغناطيسي، وخصوصا أنّها تبهر وتغوي وتسحر الألباب وتلهب الحماسة.* "[3] وهذه إشارة واضحة إلى المفعول القوي و" السّحري" للإشاعة، لما تتميّز به هذه الظّاهرة من سرعة في الإنتشار وقوّة في التأثير على الرّأي العام.

ورغم أنّ الإشاعة تعتبر " *حدثا غامضا وشبه سحري*"[4]، فسوف نحاول في العنصر الأوّل من هذا المقال البحث عن ماهيتها وسوف نسعى إلى عرض أبرز التّعاريف في خصوصها. أمّا في العنصر الثّاني فسوف نتطرّق إلى تطوّرات الصّراع الزّعامي اليوسفي البورقيبي منذ نشأته إلى حدود سنة 1949، وهو تاريخ انتشار إشاعة مطالبة علي المعاوي برفت الحبيب بورقيبة من الحزب. وسوف نقوم في العنصر الثّالث والأخير بتحليل مضامين هذه الإشاعة ودواعيها وأبرز تداعيّاتها، باعتبار أنّ الإشاعة "*تخضع لمنطق قوي من الممكن تفكيك آلياته* "[5].

1. مفهوم الإشاعة

الإشاعة لغة، هي مصدر من فعل أشاع (وزن أفعل)، وهو فعل مزيد بحرف يعود إلى الفعل الثلاثي المعتلّ الأجوف "شاع". وصيغة أفعل هنا تفيد معنى التّعدية، كأن نقول " شاع الخبرُ" و" أشاع أحمدُ الخبرَ". وحسب معجم لسان العرب : " *شاع الخبر في النّاس... فهو* شائع (أي) انتشر *وافترق وذاع وظهر... وقولهم: هذا خبر شائع وقد شاع في النّاس، معناه قد اتّصل بكلّ أحد فاستوى علم النّاس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض. والشّاعة: الأخبار المنتشرة...*"[6]

إذن، "الإشاعة" أو " الشّاعة" أو " الشّائعة" هي الخبر المنتشر بين النّاس بغضّ النظر عن مدى صدقه أو كذبه أو وقوعه أو عدم وقوعه. وأنّ مجرّد استواء علم النّاس بالخبر يعدّ إشاعة. وتشترك معاجم اللّغة العربية الأصلية - إجمالا- في هذا المعنى.

أشارت بعض المعاجم المعاصرة إلى المفهوم المتداول للإشاعة بكونها خبر مكذوب أو غير موثوق فيه فمعجم المعاني عرّف الإشاعة على أنّها " *خَبر مكذوب، غير موثوق فيه، وغير مُؤكَّد، ينتشر بين الناس.*"[7] وفي المعجم الوجيز:"*الإشاعة، الخبر ينتشر غير متثبَّت فيه.*"[8]

والإشاعة بكونها خبر مكذوب أو غير موثوق فيه ينتشر بسرعة بين النّاس، هو المعنى الأكثر تداولا في الزّمن الرّاهن. فحسب المعجم السّياسي للأستاذ وضّاح زيتون فإنّ الإشاعة هي " *الطّريقة التي تنتشر بها الأخبار بدون أن تمرّ عبر القنوات الرسمية أو المتّبعة عموما لتناقلها وإذاعتها... وتنتقل الإشاعة من شخص إلى آخر ومن مجموعة إلى أخرى دون أن يكون ممكنا التأكّد من مصدرها...و الإشاعة كلّما انتشرت يصبح مضمونها أقصر، وتصبح أكثر عرضة للتشويه حسب عادات الذين يتناقلونها.*"[9]

وحسب معجم المصطلحات العسكريّة فالإشاعة هي:" *قصّة أو خبر تتداولها الألسن لغرض معيّن دون أن يعرف ناقلها مصدرها الحقيقي.*[10] والإشاعة من وجهة نظر قانونية هي " *الخبر المثير المتعمّد المستهدف نتائج ضارّة.* "[11] أمّا من وجهة نظر علم النّفس، فقد عرّفها عالما النّفس جوردون ألبورت (Gordon Allport) وليو بوستمان (Leo Postman) بأنّها: " *اصطلاح على رأي موضوعي معيّن مطروح كي يؤمن به من يسمعه وهي عادة تنتقل من شخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشفهيّة دون أن يتطلّب ذلك مستوى من البرهان أو الدّليل.*"[12]

ويرى الباحث الفرنسي جان نويل كابفيرير (Jean-Noël Kapferer) أنّ التحليل النفسي للإشاعة يعتبر أن المعلومة الخاطئة تنتشر تماما كالمعلومة الصحيحة متى عرفها المجتمع. وأنّ انتشار المعلومة الخاطئة لا يرتبط بنوع من الجنون أو الهذيان الجماعي، وإنما بالقواعد التي تحكم الحياة الإجتماعية.[13]

وأشهر تعريف للإشاعة حسب جان نويل كابفيرير ينسب إلى عالم الإجتماع الأمريكي تاموتسو شيبوتاني(Tamotsu Shibutani) الذي اعتبر أنّ الإشاعات هي أخبار ملفقة تتولّد من نقاش جماعي. والإشاعة بالنّسبة إلى شيبوتاني هي حدث مهمّ وملتبس أو غامض.[14]

والأمر المثير للجدل أنّ جان نويل كابفيرير يستنتج بعد بحثه المستفيض عن الإشاعة في كتابه " الشّائعات الوسيلة الأقدم في العالم" قائلا: " *لا تستند الشائعة إلى أي أساس، ولعل هذا التعريف أكثر التعاريف متانة على الإطلاق.*"[15]

تختلط الإشاعة ببعض التعبيرات الشّعبية والأنسقة اللّسانية مثل الأسطورة أو الفكاهة لكونها تنتقل شفهيّا من شخص لآخر[16]. فهل الإشاعة أسطورة أم فكاهة؟

يجيب على هذا السّؤال الأستاذ حميدة سميسم في كتابه " الحرب النفسية" قائلا: " *الإشاعة ليست الأسطورة فالأسطورة هي إشاعة تجمّدت على مرار الزّمن وارتفعت لتصير حقيقة تاريخيّة مرتبطة بالتّقاليد والتّراث.*"كما أنّ " *الإشاعة ليست الفكاهة، بمعنى أنّ الفكاهة الجماعيّة هي نوع من أنواع التّعبيرات الشّعبية التي تسعى إلى حالة الإسترخاء عن طريق النّقد المستتر.*"[17] فالإشاعة إذن ليست بأسطورة أو فكاهة، رغم أنّها تختلط بهذه الأنسقة اللّسانية والتّعبيرات الشعبيّة.

نلاحظ إذن بعد هذا البسط الموجز لبعض تعريفات الإشاعة، أنّ وجهات النّظر حولها قد تختلف من باحث لآخر، ولا وجود لتعريف متوافق عليه حول الإشاعة. ورغم أنّ مجمل التعاريف التي بسطناها ذات فائدة، فنحن سنعتمد في هذا البحث ما ذهبت إليه المعاجم الأصلية في اعتبار الإشاعة هي ذلك الخبر المنتشر بين النّاس سواء أكان هذا الخبر مكذوبا أم صحيحا، وذلك توخّيا للموضوعيّة عند تناولنا لإشاعة مطالبة علي المعاوي بطرد الحبيب بورقيبة من الحزب. كما أنّ الإشاعة وإن تمّ تكذيبها من قبل المصادر الرّسمية، فإنّ احتمال صدقها يبقى واردا رغم وجود تكذيب رسمي لها.

2. الصّراع اليوسفي البورقيبي في مرحلته الخفيّة

إنّ الصّراع اليوسفي البورقيبي، لم يكن وليد اتّفاقيّات 3 جوان 1955 فحسب، فالإتّفاقيات لم تكن سوى الحدّ الفاصل بين مرحلتين، وهما مرحلتي الصّراع الخفي والعلني. وإنّ قبول التيّار البورقيبي ببنود اتّفاقيّات الإستقلال الدّاخلي، كان بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، حيث انتقل الصّراع بين الزعيمين المرموقين وهما " المجاهد الأكبر" الحبيب بورقيبة و"الزّعيم الكبير" صالح بن يوسف[18] من مرحلة الخفاء إلى مرحلة العلن.

وسوف نهتمّ في هذا المحور بالمرحلة الخفيّة لهذا الصّراع، والتي انطلقت حسب تقديرنا منذ مؤتمر دار سليم الذي التأم في 17 أكتوبر 1948. وقد شهد هذا المؤتمر تباينا واختلافا في وجهات النّظر بين أنصار الحبيب بورقيبة وأنصار صالح بن يوسف. وقد برز الصّراع أيضا بين اليوسفيّين والبورقيبيّين خلال انعقاد المجلس الملّي[19] للحزب الحر الدّستوري التّونسي الجديد في صائفة 1949، حيث انتشرت إثر هذا المؤتمر إشاعة مطالبة علي المعاوي برفت الزّعيم الحبيب بورقيبة من الحزب.

مؤتمر دار سليم كان بمثابة الولادة الحقيقيّة للتيّار اليّوسفي، الذي لم ينشأ بصفة فجئيّة بل كان نتيجة لمجهودات جبّارة قام بها خاصّة كلّ من صالح بن يوسف الأمين العام والمنجي سليم مدير الحزب، تمثّلت في تنظيم قواعد وهياكل الحزب وإعادته إلى الحياة من جديد، بعد أن عاش فترة من الرّكود النّسبي منذ أحداث 9 أفريل 1938.

انطلق هذا العمل الجدّي بعد هجرة الحبيب بورقيبة السرّية إلى الشّرق، حيث أصبح صالح بن يوسف هو المتحكّم الفعلي في الحزب في الدّاخل، وقد ساهم بشكل فعّال في نشأة المنظّمات الوطنيّة الثلاث[20] التي كانت سندا وركيزة للحزب الحرّ الدّستوري التّونسي الجديد.

إنّ تنظيم هياكل الحزب ونشأة المنظّمات الوطنيّة، وانعقاد مؤتمر ليلة القدر ثمّ مؤتمر دار سليم، تعدّ من أبرز الأحداث التاريخيّة التي شهدتها البلاد في ظلّ غياب الحبيب بورقيبة عن السّاحة الوطنيّة، ممّا أدّى إلى بروز شخصيّة صالح بن يوسف القائد والزّعيم.

لقد اعتمد صالح بن يوسف في هذه الفترة على استراتيجيّة الحرب الباردة أو المقاومة السّلميّة، التي تتعارض مع النّهج البورقيبي القائم منذ نشأة الحزب على سياسة العمل المباشر. وفي ظلّ هذا التّناقض بين سياستي الزّعيمين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف، تواترت الإشاعات والأقاويل حول خلاف الحبيب بورقيبة مع الدّيوان السّياسي الجديد بسبب الأزمة المالية الخانقة التي ألمّت به وبمكتب المغرب العربي بالقاهرة. وقد زاد انتشار خبر طلب علي المعاوي بطرد الحبيب بورقيبة من الحزب من تأزّم الوضع بالرّغم من صدور بيانات تكذيب له.

و يمكن أن نفهم من خلال هذه المعطيات المذكورة أسباب نشأة الصّراع الزّعامي بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف، والتي سوف نتوسّع فيها عند تحليلنا للعنصرين التّاليين.

1.2 مؤتمر دار سليم (17أكتوبر 1948):

مؤتمر دار سليم، هو المؤتمر الثالث للحزب الحر الدّستوري التّونسي الجديد، الذي التأم بعد حوالي 11 سنة من إنعقاد مؤتمر نهج التريبونال(30 أكتوبر 1937)، الذي انتهى في "*جوّ مكفهر يكاد يكون مأساويّا*"[21] بسبب الخلاف والتنافس بين فريق محمود الماطري"المعتدل" وشقّ الحبيب بورقيبة "المتصلّب".

التأم مؤتمر دار سليم يوم الأحد 17 أكتوبر 1948 ودام يومين كاملين. ولم يتعدّ الحضور 130 نائبا من مختلف جهات البلاد [22].

أهمّ ما ميّز مؤتمر دار سليم هو بروز أنصار الزّعيم صالح بن يوسف بشكل جليّ وعلني، ممّا كشف تباينا في التوجّهات والتصوّرات بين البورقيبيين واليوسفيين ويمكننا بذلك اعتماد فرضية نشأة اليوسفية كتيّار سياسي متميّز في هذا التّاريخ.

لم يكن الحبيب بورقيبة حاضرا في هذا المؤتمر وذلك لتواجده في الشّرق منذ 1945. وقد وصف الحبيب بورقيبة هذا المؤتمر بمؤتمر "الخيانة والغدر والنّفاق" في محاضرته التي ألقاها بمعهد الصّحافة سنة 1973[23] لأنّه لم يكن راضيا عن الدّيوان السياسي الجديد المتمخّض عن المؤتمر. ولأنّ هذا المؤتمر انتزع منه صلاحيّة التصرّف في أموال الحزب. وكذلك لأن هذا المؤتمر قد صادق على سياسة " الحرب الباردة" التي اعتمدها صالح بن يوسف خلال فترة غياب الحبيب بورقيبة. وهي استراتيجيّة المقاومة "السلميّة" أو "السّلبيّة".

هذه الإستراتيجيّة الجديدة تهدف إلى إحداث حالة من الفراغ حول المقيم العام جون مونس Jean Mons وحكومة مصطفى الكعّاك التّابعة له. وذلك من خلال ربط علاقة وطيدة مع الباي والبورجوازيّة التّونسيّة[24]، بهدف الضّغط على المقيم العام حتّى تستجيب فرنسا للمطالب الوطنية المتمخّضة أساسا عن مؤتمر ليلة القدر (23 أوت 1946). وقد وصف المنجي سليم هذه الإستراتيجيّة بسياسة "الحرب الباردة" في مؤتمر دار سليم، [25] أو بـ"سياسة اللاتعاون السياسي مع حكومة الحماية " في رسالته للزّعيم الحبيب بورقيبة المؤرّخة في 6 نوفمبر 1948[26]

سياسة الحرب الباردة كما عبّر عنها المنجي سليم خلال المؤتمر تتناقض مع سياسة العمل المباشر التي كان يحبّذها الحبيب بورقيبة من أجل الضّغط على فرنسا، ومن أجل إيجاد مسوّغات لبث دعايته في الخارج. والعمل المباشر كما تفسره الإستعلامات الفرنسية يتمثّل في: الإنتفاضة المسلّحة،أعمال الشغب،الإضرابات،الهجمات [27] .

إنّ فوز التيّار اليوسفي في هذا المؤتمر يدلّ على سيطرة صالح بن يوسف شبه الكلّية على جهاز الحزب في فترة تواجد الحبيب بورقيبة في الشّرق.

إذن، فإنّ مؤتمر دار سليم كان سببا في بروز المعارضة اليوسفيّة، وشكّلت مقرّراته تهديدا واضحا لزعامة الحبيب بورقيبة. وأصبح بذلك صالح بن يوسف هو المنافس الأبرز للمجاهد الأكبر، بحكم سيطرته على جهاز الحزب وبحكم بروز مؤيّدين له ولسياسته التي تختلف مع سياسة وتمشّيات الحبيب بورقيبة.

لقد أصبح صالح بن يوسف بعد هذا المؤتمر هو المسيطر الفعلي على الحزب والمنافس الأبرز على الزّعامة الوطنيّة والحزبية، وسيتّضح ذلك بجلاء خلال المجلس الملّي للحزب الحر الدستوري التونسي الجديد.

2.2 المجلس الملّي للحزب الحر الدستوري التّونسي الجديد (أوت 1949):

انعقد المجلس الملّي في أجواء غير مريحة، وذلك لانتشار الإشاعات حول تأزّم العلاقة بين الحبيب بورقيبة وأعضاء مكتب المغرب العربي من جهة وبينه وبين أعضاء الديوان السياسي من جهة أخرى، ممّا يهدد الحزب بالإنشقاق والإنفجار، كما أكّد على ذلك الهادي شاكر عند تدخّله أثناء مداولات المجلس حيث قال :"*ليس لنا الآن خيار ثالث؛ بعد أن أصبحنا مهددين بانفجار داخلي رهيب يتأكد علينا جميعا العمل على درئه وتفادي مخاطره قبل أن تضيع منا فرصة المراجعة فنندم ولا تنفع ساعة الندم*.."[28]

و قد كان الحزب فعلا على وشك الإنفجار الدّاخلي الرّهيب وذلك :

- أوّلا: لانقسام الحزب إلى تيّارين متباينين منذ مؤتمر دارسليم الذي شهد صعود التيّار اليوسفي.
- ثانيا : لتفاقم الأزمة المالية التي مرّ بها الحزب في تلك الفترة.
- ثالثا : لانتشار الإشاعات حول خلاف الحبيب بورقيبة مع أعضاء الديوان السياسي الجديد ومع أعضاء مكتب المغرب العربي، وخاصّة مع الحبيب ثامر.[29]

انتشرت بعد انعقاد المجلس الملّي إشاعة مطالبة المناضل علي المعاوي بمحاكمة الحبيب بورقيبة وطرده من الحزب.

3. إشاعة المطالبة بطرد الحبيب بورقيبة من الحزب:

الإشاعة حسب الأستاذ حميدة سميسم خبر يبدأ " *على شكل حملات هامسة أو تهبّ كريح عاصفة عاتية*". ويسري هذا الخبر " *بجانب أو تحت منظومة الإعلام الرّسمي، ويعدّ واسطة جيّدة لعمليّة اتّصالات غير رسميّة ينتشر فيها خبر غير مؤكّد لحدث ذي أهمّية*".[30] ولا نقصد بالإشاعة هنا الخبر المكذوب، ولا يجدر بالمؤرّخ أن ينطلق في بحثه بحكم مسبق. و" *الواقع أنّ التعريفات المبنية على معيار المعلومة غير المثبتة أو بالأحرى المعلومة الخاطئة، تعتبر تعريفات إيديولوجية تترجم الحكم المسبق على الشائعة والنزوع إلى الوعظ*. " [31] ونحن لا نريد في هذا البحث الإعتماد على تعريفات إيديولوجيّة أو نميل ببحثنا في اتّجاه الوعظ.

الإشاعة حسب رأينا هو ما أشارت إليه المعاجم الأصليّة بكونها الخبر المنتشر الذي يحمل في ثناياه احتمالات الصّحة أو الخطأ. ويمكن القول أنّ " *الشائعات مربكة لأنها تكوّن معلومات تعجز السلطة عن التحكم بها. وفي مقابل الرواية الرسمية للأحداث، تولد حقائق أخرى، ويصبح لدى كل جهة حقيقة خاصة بها*." [32] ونحن إزاء رواج هذه الإشاعة أمام حقيقتين:

- الحقيقة الأولى تتمثّل في مطالبة علي المعاوي بمحاكمة وفصل الحبيب بورقيبة من الحزب.(مضمون الإشاعة)
- الحقيقة الثّانية تتمثّل في نفي الحقيقة الأولى، أي عدم مطالبة المناضل علي المعاوي بمحاكمة ورفت الحبيب بورقيبة من الحزب(التكذيب الرّسمي للخبر).

والإشاعة حسب جان نويل كابفيرير(Jean-Noël Kapferer) "*هي في المقام الأول معلومة تضيف عناصر جديدة إلى شخص ما أو حدث مرتبط بواقع الحال.*"[33]،الحدث هنا هو انعقاد المجلس الملّي للحزب الحر الدّستوري التونسي الجديد والمعلومة التي تضيف عناصر جديدة إلى الحدث هو خبر مطالبة علي المعاوي بمحاكمة الحبيب بورقيبة وطرده من الحزب. وقد هبّ هذا الخبر " كريح عاصفة عاتية". فما هو مضمون هذه الإشاعة؟ وماهي دوافعها وتداعيّاتها؟

1.3 مضمون الإشاعة:

صرّح كاتب المقال الإفتتاحي في جريدة لو موند LE MONDE ، بيار فيانسون بونتي (Pierre Viansson-Ponté) قائلا: "*لم يسبق أن أجريت معاينة أي شكل آخر من أمراض الرأي المعدية التي تصيب تحديدا الطبقة السياسية(...) مرض يمكن أن نطلق عليه تسمية " الإشاعة السياسية.*" [34] فما هو مضمون هذه الإشاعة السياسية التي انتشرت مباشرة بعد انعقاد المجلس الملّي للحزب الحر الدّستوري التونسي؟

طلب علي المعاوي من الديوان السياسي " *تقديم توضيح عن العلاقة القائمة الآن بينه*(أي الديوان السياسي) *وبين الزعيم بورقيبة من جهة؛ وبين سي الحبيب وبين أعضاء مكتب المغرب العربي من جهة ثانية*"[35].

إنّ خبر توتّر العلاقة بين الحبيب بورقيبة والديوان السياسي من جهة وبينه وبين مكتب المغرب العربي من جهة أخرى ستتفرّع عنه العديد من الإشاعات والأقاويل (عدم وصول المدد المالي، الفساد المالي والأخلاقي، خلاف بين الحبيب ثامر والحبيب بورقيبة...) التي يمكن أن تؤدّي إلى "انفجار داخلي رهيب" كما عبّر عن ذلك الشّهيد الهادي شاكر.

لا يمكن أن ننكر الدّور الذي لعبته جريدتا الحوادث المصرية والمرآة التونسية المموّلتين من طرف الإستعلامات الفرنسية سواء في مصر أو في تونس[36]، ولكن لا يمكننا أن نتغاضى عن أصل الصّراع والخلاف بين التيّار اليوسفي والتيّار البورقيبي، خاصّة بعد مؤتمر دار سليم الذي أقرّ سياسة صالح بن يوسف التي تتناقض مع توجّهات الحبيب بورقيبة . وقد أفرز هذا المؤتمر ديوانا سياسيا لم يحظ برضا الحبيب بورقيبة. فهذا التناقض الحاد بين الجانبين سوف يفرز بالضّرورة إشاعات وأقاويل، وذلك- حسب اعتقادنا - يدخل ضمن طبيعة الصّراع السياسي داخل أيّ حزب سياسي معاصر.

البورقيبيّون وهم الطّرف المنهزم في مؤتمر دار سليم، لعبوا دورا كبيرا في بث الإشاعات، وقد ساهم علالة العويتي[37] بشكل ملموس في ذلك عند اجتماعه بالدّستوريين سواء في السّاحل أو في تونس.

إنّ بث الإشاعات ونشرها، من شأنه أن يؤدّي إلى إضعاف الطّرف المقابل أو المعادي. كما لا يمكن أن نبرّئ اليوسفيين من بثّ الإشاعات حول الحبيب بورقيبة وذلك من أجل إضعاف مكانته الإعتباريّة، بصفته الزّعيم المؤسّس للحزب الحر الدّستوري الجديد وذلك عبر صحيفة "الرّقيب " اليوسفيّة[38].

ما كان يخشاه الحبيب بورقيبة، هو أن تضيع منه زعامته وهو في المهجر، كما حصل لعبد العزيز الثعالبي عندما غاب عن السّاحة الوطنيّة والسياسيّة الدّاخليّة ولم يتمكّن عند عودته من استرداد زعامة استمدّت شرعيتها من أسبقيّة التّأسيس.

يقول علي المعاوي في مذكّراته:" *فلم يمض على انقضاء المجلس سوى يومين أو ثلاثة حتى بدأ اتهامي بأنني طالبت بمحاكمة الزعيم بورقيبة وبطرده من الحزب؛ على أنه كان موحى إلي بذلك وسارع الأخ حسين بللعج الكاتب القار للمجلس فأصدر بلاغا فوق أعمدة جرائد الحزب يفند به هذه الأراجيف ويدحض به هذا الإفك السخيف...*" [39]

قام علي المعاوي في كتابه بنشر بلاغ حسين بللعج الكاتب القار للمجلس الملّي المنشور بجريدة الصّريح يكذّب فيه ما راج من خبر مطالبة علي المعاوي بمحاكمة الزّعيم بورقيبة وبطرده من الحزب، وهو كالتّالي:

"*جاء بالعدد 29 من جريدة الصّريح المؤرّخ في 13 أوت الجاري تحت عنوان"ماذا حدث في المجلس الملّي للحزب الدّستوري"ما نصّه حرفيا بعد المقدّمة:" و قد بلغنا أنّ اقتراحا خطيرا عرض أثناء ذلك الاجتماع يرمي إلى فصل أعظم*

شخصيّة في الديوان ضحّت في سبيل الوطن وهي ما تزال تضحّي حتّى الآن...إلخ" وإنّي بصفتي الشّخص الذي كان له شرف رآسة الدّورة الأخيرة للمجلس الملّي التي يزعم أنّه قدّم فيها ذلك الإقتراح؛ أكذّب تكذيبا قطعيّا صدور ذلك الإقتراح من عضو المجلس حضر هاته الدّورة؛ وأتحدّى أيّا كان أن يثبت وقوع ذلك بشهادة اثنين من أعضاء ذلك المجلس المحترم (الإمضاء:الرّئيس محمد زخامة)"[40]. إذن، فإنّ علي المعاوي يؤكّد بأنّه لم يطالب خلال المجلس الملّي بفصل الحبيب بورقيبة من الحزب[41].

ويضيف علي المعاوي " *إنّ القيام باقتراح في مجمع وطني كذلك الإقتراح البغيض يعتبر كفرا في دين الوطنيّة وعقوقا بالقوميّة*"[42]. *فما* سبب انتشار هذه الإشاعة رغم أنّ المجلس الملّي لم يشهد صراعا كذاك الصّراع الذي شهده مؤتمر دار سليم وقد التأم في أجواء عاديّة نسبيّا لم يكتنفها صدام بين البورقيبيين واليوسفيين؟

أعتقد أنّ الصّراع بين التيّارين اليوسفي والبورقيبي لم يزل في هذه الفترة في مرحلة الصّراع الخفي أو ما يعبّر عنه بالحرب الباردة وغير المعلنة. وإنّ بثّ الإشاعات من طرف الجانبين يعتبر الوسيلة المناسبة والنّاجعة في هذه المرحلة التي شهدت انتصارا وغلبة للتيّار اليوسفي في مؤتمر دار سليم. وإنّ هذه الإشاعة سوف تؤثّر على الزّعيم بورقيبة وستشعره بأنّ زعامته أضحت في خطر، ممّا سيجعله يقرّر العودة إلى أرض الوطن لمعاينة الوضع بنفسه ولانقاذ زعامته المهدّدة.

عبّر علي المعاوي عن هذا الأمر أثناء تدخّله في المجلس الملّي عندما تساءل قائلا:" *هل توجد بين الحزب والزعيم قنوات اتصال منظمة توفر له المعلومة الصحيحة في الإبان بصفته رئيس الحزب وتنجيه من حساسية العزل والإزاحة التي تؤرقه وتضنيه وتقينا ضرر هذه الشائعات التي يروجها كل من غاضه سلامة مسيرتنا وما حبانا به الله من توفيق؟*"[43]

إنّ غياب قنوات اتّصال بين الديوان السياسي ورئيس الحزب ساهم فعلا في انتشار الشائعات وفي إحداث حالة من البلبلة والصّراع الخفي بين اليوسفيين والبورقيبيين.

إنّ التكذيب الرّسمي للإشاعة، لا يمكن أن يحول دون انتشارها أو تصديقها من قبل النّاس، لأنّ الإشاعة هي الصّوت المعبّر عن الجماعة. وغالبا ما يتفوّق صوت الجماعة على المصادر الرّسمية، وتبقى الحقيقة ما يعتقد الناس أنه حقيقة، فيعبرون عنه عن طريق الشائعة لأنّ الخطّ الفاصل بين المعلومة الصّحيحة والإشاعة مبهم وغامض بالنسبة إلى العامّة .كما أنّ العامّة غير مؤهلة للتمييز بين الخطا والصواب عندما يبلغها أي خبر شفوي[44] وبناء على ذلك" *يمكن القول إن إدراج مفهوم الخطأ والصواب في التعريف العلمي للشائعة... يطرح متغيرا عقيما، بل مشوشا* "[45]. فلا يجدر بنا إذن إثبات أو نفي صحّة هذه الشّائعة، رغم إنكار المصادر الرّسميّة لصحّة هذا الخبر المنتشر، ونحن لا نريد السقوط في شراك الدّوافع و"الأجندات" الإيديولوجيّة لأيّ طرف من أطراف الصّراع، أفليس المربك في الشائعة هو إمكان إثبات صحتها؟! [46] كما قال جان نويل كابفيرير.

2.3 دوافع الإشاعة:

إنّ الهدف الأساسي من الشّائعة هو أن يتمّ تصديقها [47] ويمكن حصر الإشاعة في دافعين اثنين: التحطيم والبناء، تحطيم الآخر، وتأمين بناء الأنا أو الذات [48] وقد سعى البورقيبيّون من خلال نشر هذا الخبر إلى تحطيم الخصم اليوسفي المنافس من أجل السّيطرة على جهاز الحزب من جديد بعد مؤتمر دار سليم الذي شهد انتصار وتفوّق التيّار اليوسفي.

الإشاعة في هذا المقام هي سلاح معنوي[49]، وهي عبارة عن حرب نفسيّة هدفها هو التعبئة النفسيّة للبورقيبيّين وتحطيم معنويّات الخصم السّياسي اليوسفي، من خلال اتّهامه بمحاولة إزاحة رئيس الحزب والزّعيم المؤسّس الحبيب بورقيبة. والإشاعة هنا حسب تعبير الأستاذ حميدة سميسم هي "*أداة أساسية من أدوات القتال النّفسي*[50] وهي كما عبّر عنها الباحث محمّد أديب السلاّوي هي " *وسيلة من وسائل الحروب النفسية الفتاكة التي قد تستخدم من طرف هذه الجماعة ضد جماعة أخرى، أو هذا الحزب ضد الحزب الآخر.* "[51]

و الواضح أنّ البورقيبين من خلال نشرهم لهذه الإشاعة كانوا يريدون الإنتقام من اليوسفيّين الذين تغلّبوا عليهم في مؤتمر دار سليم وتعمّدوا تجريد الحبيب بورقيبة من صلاحيّة التصرّف في مال الحزب. وكما قال الحبيب بورقيبة في شهادته في معهد الصّحافة سنة 1973 بأنّ مؤتمر دار سليم سحب منه كلّ نفوذ وأصبح خارج دائرة ذوي الحلّ والعقد في الحزب: "*أما أنا فقد سحب منّي كلّ نفوذ واعتبرت خارج دائرة ذوي الحل والعقد في الحزب*" [52]

من الواضح أنّ إشاعة مطالبة علي المعاوي بطرد الحبيب بورقيبة من الحزب لم تكن إشاعة اعتباطيّة، بل كانت منظّمة و"*إن الإشاعة المنظمة والتي تكتسي طابعا قصديا و"مخدوما" تشكل خطورة قصوى... تهدف إلى تحقيق أهداف وغايات مختلفة، بذلك فهي لا تنتج إلا بعد دراسة مسبقة يحدد من خلالها الموضوع والهدف والتوقيت الذي ستروج فيه، وبالتالي الفئة المستهدفة (طبقة اجتماعية/حزب سياسي/رموز...إلخ). وهذا النوع من الإشاعة تنتجه وتؤطره أجهزة لا تعرف ولا تدرك إلا من خلال نوع الإشاعة الموجهة، أيضا من خلال استشراف الغايات منها.*"[53] والغايات هنا من بثّ الإشاعة تتمثّل في:

- التعبئة النفسية للبورقيبيّن من أجل التصدّي لليوسفيّين الذين يسعون إلى الإطاحة برئيس الحزب الحبيب بورقيبة. وقد نجح مروّجوا هذه الإشاعة في دفع المجاهد الأكبر إلى اتّخاذ قرار العودة إلى الوطن إنقاذا لزعامته التي هدّدها اليوسفيّون بشكل جدّي وصريح.

- تحطيم الخصم السّياسي كما أشار إلى ذلك الباحث محمد أديب السلاوي عندما قال: "*فإن الإشاعة يمكن أن تستغل أيضا من أجل تحطيم الخصم السياسي.*"[54]

إنّ هذه الإشاعة ماهي إلاّ وسيلة من وسائل الحروب النّفسية " الفتّاكة" وغير المعلنة التي تستعمل من أجل القضاء على الخصم السّياسي واحباط معنويّاته.

3.3 تداعيّات الإشاعة:

إنّ من أهمّ تداعيّات إشاعة مطالبة علي المعاوي برفت الحبيب بورقيبة من الحزب، هو عودة " المجاهد الأكبر"من الشّرق بصورة مفاجئة في 8 سبتمبر 1949، وذلك خوفا على زعامته وتصميما على استرداد هيبته السّياسيّة التي هدّدها اليوسفيّون بشكل جدّي.

رغم نفي ممثّل المجلس الملّي صحّة الإشاعة عبر صحيفة " الصّريح"، إلاّ أنّ أغلب الظنّ أنّ الحبيب بورقيبة قد صدّق الخبر. وقد شعر بأنّ زعامته قد أضحى يهدّدها صالح بن يوسف بشكل جدّي، الم يقل صالح بن يوسف عندما سأله أحد الأعضاء خلال المجلس الملّي المنعقد في صائفة 1949 عن سبب عدم إرسال المال للحبيب بورقيبة، أجابه صالح بن يوسف: "*لا نتكلّم عن الأموات*"[55]. ولا أظنّ أنّ ما حدث خلال مداولات المجلس الملّي سوف يغيب عن الحبيب بورقيبة رغم تواجده في القاهرة.

قال صلاح الدّين التلاتلي الذي استقال من حركة الإتّحاد والترقّي للهادي نويرة : "*إذا عاد الحبيب بورقيبة فلن يستعيد مكانه بيننا*"[56] . صلاح الدين التلاتلي لم يكن منتميا للحزب الحر الدّستوري التونسي الجديد، فما المقصود بـ " بيننا"؟

أغلب الظنّ بأنّ صلاح الدّين التلاتلي يقصد بأنّ الحبيب بورقيبة لن يستعيد مكانه ضمن الحركة الوطنية التّونسية. ممّا يدلّ على سيطرة صالح بن يوسف الكاملة على الحراك الوطني التّونسي بمختلف أجنحته.

لقد كان صالح بن يوسف في فترة غياب الحبيب بورقيبة صاحب الأمر والنهي، سيما وأنّ خياراته السياسية هي التي قد أقرّها مؤتمر الحزب في دار سليم. وأنّ أنصار الحبيب بورقيبة كانوا هم الأقلّية مقارنة بأنصار صالح بن يوسف وهو ما عكسته مقرّرات ونتائج مؤتمر دار سليم.

كان صالح بن يوسف يعتدّ بنفسه وبإنجازاته، ففي اجتماع 18 جويلية 1949 نوّه صالح بن يوسف بإنجازاته الشخصية قائلا:

"*كنت بصدد عرض جميع أعمال الجربي صالح بن الحاج سليمان بن يوسف. يمكنكم الحكم عليها وأنا مستعد لمواجهة انتقاداتكم. (لا احتجاج من الجمهور) ... أمامكم حصيلة مونص*(Jean Mons) ، *حصيلة الكفّاك ، وحصيلة صالح بن يوسف. لدي ثقة الشّعب، سيدي الامين ، الغرف القنصلية ،المجموعات الفلاحية، فيدراليات الموظّفين، الاتحاد العام التونسي للشغل، الجمعيات الخيرية، الأقلية اليهودية وبطبيعة الحال منكم أنتم. أطلب منكم المساندة. لست بحاجة إلى المال، فأنا غني والحزب أيضًا.*"[57]

ذلك هو صالح بن يوسف قبل أن يعود الحبيب بورقيبة إلى أرض الوطن، معتدّ بنفسه وبإنجازاته إلى حدّ النرجسية.

عودة الزّعيم الحبيب بورقيبة من شأنها أن تجعل من صالح بن يوسف الزّعيم الثّاني في تونس، بعد أن كان هو الحاكم بأمره والموجّه لسياسة الحزب. فلا شكّ أنّ صالح بن يوسف لم يكن يرغب في عودة الزّعيم الحبيب بورقيبة نظرا لما تمثّله هذه العودة من تهديد لخياراته السياسية والإستراتيجية، فالزّعيم الحبيب بورقيبة لم يكن راضيا عن سياسة "الحرب الباردة "التي اعتمدها الحزب في ظلّ غيابه، وإنّ عودته من شأنها أن تغيّر من سياسة الحزب التي أقرّها مؤتمر دار سليم.

كما أنّ هذه العودة من شأنها أن تقلب موازين الصّراع بين التيّارين المتنافسين، فالتيّار البورقيبي الذي تعمّد بثّ الإشاعات من أجل إضعاف التيّار اليوسفي قد يصبح أكثر قوّة بعودة زعيمه الكاريزماتي،القادر على قلب موازين الصّراع بفضل مؤهّلاته الدّعائية والخطابية وبفضل شرعيّة "الزّعيم المؤسّس" التي يمتلكها ويتميّز بها عن مجموعة الديوان السياسي العشرة ومن بينهم صالح بن يوسف.

و تتميّز شخصيّة الحبيب بورقيبة -التي تحمل في ثناياها تناقضات عجيبة- بقدرة خارقة على قلب المعادلات السياسية لصالحه، معتمدا في ذلك على قدراته ومواهبه السياسية الذاتية. فهو كما قال عنه غريمه صالح بن يوسف

"*من بين أكبر الشّخصيات الذكية في هذا البلد إن لم نقل في هذا القرن.*"[58]

إنّ شعور الحبيب بورقيبة بأنّ زعامته للحزب الحر الدّستوري الجديد أصبحت مهدّدة، يعتبر من الدّوافع الذاتية والهامّة من أجل اتّخاذ قرار العودة. وإنّ إرساله لعلالة العويتي في صائفة 1949 كان بهدف جمع المعطيات والمعلومات الدّقيقة حول وضع الحزب ونشاط اليوسفيين الذين باتوا يهدّدون زعامته، ولم يكن فقط بهدف جمع الأموال لفائدة المجاهد الأكبر ومكتب المغرب العربي.

و إنّ تيسير سبل العودة للحبيب بورقيبة كان في صالح الحكومة الفرنسية وذلك رغبة منها في إشعال فتيل الفتنة وتأجيج الصّراع الزّعامي في صفوف الحزب الحر الدّستوري الجديد بهدف إضعاف شوكته. وإنّ الإشاعات التي بثّتها السلطات الفرنسية عبر الصّحف الموالية لها كانت ترمي إلى بلوغ هذا الهدف المتمثّل في تقويض أركان الحزب الحر الدّستوري التونسي الجديد.

كما أنّ عدم موافقة صالح بن يوسف على عودة الزّعيم الحبيب بورقيبة كانت بسبب الخوف من انهيار وفشل مشروع مدروس يقضي باستبعاد الزّعيم الحبيب بورقيبة من السّاحة السياسية والحزبية، خاصّة وأنّ صالح بن يوسف قد تمكّن من كسب القصر الملكي إلى صفّه.

سعى الحبيب بورقيبة جاهدا بعد عودته من المشرق إلى توحيد صفوف الحزب الذي انقسم بين يوسفيّين وبورقيبيين خلال غيابه الذي دام أكثر من أربعة سنوات. وقد نجح في وقت وجيز ومن خلال الحملات الدعائية والتعبوية

التي قام بها في كامل أنحاء البلاد إلى إعادة الإعتبار لزعامته التي كادت أن تضيع منه بفعل سيطرة التيّار اليوسفي على الحزب بعد مؤتمر دار سليم.

إثر عودته دعا الحبيب بورقيبة قومه إلى وحدة الصفّ وجهاد المستعمر الفرنسي، وقد وظّف الحبيب بورقيبة في حملاته التعبويّة مهاراته الخطابية وقدراته على استثارة المشاعر الدينية المحرّضة على قتال "العدوّ" والدّاعية إلى جهاد "الكفّار" من أجل الوصول إلى تحقيق المطالب الوطنية. وقد أظهر الحبيب بورقيبة خلال فترة وجيزة نسبيا (سبعة أشهر) قدرة فائقة على جمع الصّفوف وذلك بفضل قدراته الخطابية المتميّزة وبفضل الكاريزما التي يتمتّع بها.

إنّ ذكاء الحبيب بورقيبة السياسي يتمثّل في إزاحة صالح بن يوسف من الصّدارة من خلال تبنّي إستراتيجية صالح بن يوسف السياسية ذاتها، والتي بدأت تعطي أكلها، مضيفا إليها قدرته على الإقناع السياسي من خلال الجولات التعبوية التي قام بها بعد العودة، ومن خلال أيضا ربطه لشبكة من العلاقات مع الشخصيات السياسية الفرنسية المتعاطفة مع القضية التّونسية خلال زيارته لفرنسا في أفريل 1950 لعرض برنامجه الجديد المتمثّل في النّقاط السّبع الذي سلّمه لوكالة "فرنس براس"(France presse).

لقد اعتمد الحبيب بورقيبة إثر رجوعه على سياسة مزدوجة، فخطابه في الدّاخل بقي كما هو يعتمد على التحريض والتحشيد من أجل الضّغط على سلطات الإستعمار، وفي الخارج كان خطابه يميل نحو الإعتدال وذلك بشهادة التقارير الفرنسية.

إذن، فإنّ صالح بن يوسف أصبح خارج اللّعبة السياسية بعد أن كان متحكّما فيها في فترة غياب الزّعيم الحبيب بورقيبة، وذلك بحكم كاريزما الزّعيم الحبيب بورقيبة وقدرته الفائقة على تحشيد الرّأي العام الشّعبي والمهارة التي أظهرها خلال زيارته الأولى إلى فرنسا في ربط شبكة من العلاقات السياسية مع عديد من الشّخصيات السياسية الإشتراكية والتي سوف تجعله في المستقبل القريب هو المحاور الأوّل والجدير لدى فرنسا.

فسحت الحكومة الفرنسية المجال للحبيب بورقيبة خلال زيارته الأولى لفرنسا بعد عودته من الشّرق للنشاط السياسي في عقر دارها بعد أن كان يعدّ من الشّخصيات الخطيرة والمشاغبة. وإنّ سعي الحبيب بورقيبة لربط شبكة من العلاقات السياسية، يؤكّد رغبته ليكون هو المحاور الأوّل والجدير لدى فرنسا ويعني ذلك حفاظه على مكانة الزّعيم الأوّل في الحزب.

لم يبق الحبيب بورقيبة كما هو - كما أعلن ذلك في تصريحه بمطار العوينة عند عودته من القاهرة - لأنّ فشله في تحقيق الأهداف التي هاجر من أجلها قد حتّم عليه تغيير سياسته تجاه فرنسا؛ وهذا يعني أنّ سياسة العمل المباشر والمواقف المتصلّبة التي أظهرها منذ تأسيس الحزب الحزب الحر الدستوري لم تعد تجدي نفعا بالنّسبة إليه. وإنّ الحملات التعبوية التي اعتمد فيها خطابا تحريضيا، كان الهدف منها هو سحب البساط من تحت أقدام الزّعيم صالح بن يوسف والتيّار اليوسفي الذي أبدى سيطرة واضحة على جهاز الحزب في فترة غياب الحبيب بورقيبة.

إذن، فإنّ إشاعة مطالبة علي المعاوي بمحاكمة الحبيب بورقيبة ورفته من الحزب سرّعت في عودة المجاهد الأكبر إلى أرض الوطن من أجل ردّ الإعتبار لزعامته المهدّدة. وإنّ سعيه في هذه المرحلة لكسب صفة المحاور الجدير لدى فرنسا، يهدف أساسا إلى المحافظة على زعامته الحزبيّة والوطنية التي كاد أن يسلبها منه " الزّعيم الكبير "صالح بن يوسف.

خاتمة:

حاولنا في هذا المقال الإستعانة بالأعمال النفسيّة والإجتماعيّة التي اهتمّت بظاهرة الإشاعة وذلك سعيا منّا لربط قنوات اتّصال بحثيّة مع مختلف مجالات وتفرّعات العلوم الإنسانية، سيما وأنّ المؤرّخ لا يمكن له أن يعمل دون الإستعانة بالأجهزة المفاهيمية لهذه العلوم.

و ما يمكن استنتاجه في خاتمة هذا البحث، أنّ الإشاعة كان لها دور فعّال وحاسم في الصّراع اليوسفي البورقيبي. وقد مثّلت أداة أساسيّة ووسيلة ناجعة من أجل تصفية الحسابات السّياسية بين الشّقين المتنازعين في الحزب الحر الدّستوري التونسي الجديد. وكانت المرحلة الخفية للصراع اليوسفي البورقيبي بمثابة حرب باردة بين التيّارين المتنافسين، حيث لعبت الإشاعة دورا حاسما في هذه الحرب. وسوف يتواصل استعمال هذه الوسيلة النّاجعة خلال المرحلة العلنية للصّراع اليوسفي البورقيبي، وذلك بعد القبول باتّفاقيّات الإستقلال الدّاخلي التي عارضها صالح بن يوسف بشدّة.

الهوامش :

1 علي المعاوي، مناضل تونسي، ولد يوم 25 جويلية 1920 بمنزل جميل من ولاية بنزرت، اعتقل فور دخول جيوش الحلفاء في شهر ماي 1943، انتخب كاتبا عامّا بالجامعة الدستورية ببنزرت في أواخر سنة 1945، حضر بتوجيه من الحزب الحر الدستوري التونسي الجلسة التأسيسية للإتحاد العام التونسي للشغل في 20 جانفي 1946 بالمكتبة الخلدونية، وانتخب أوّل كاتب عام للإتحاد الجهوي للشغل ببنزرت. أصدر في 28 سبتمبر 1948 جريدة الرقيب (اليوسفية). كما انتخب بالمجلس الملّي للحزب في مؤتمر دار سليم يوم 17 أكتوبر 1948. أُدخل السجن سنة 1950 ليقضي فيه مدة ستة أشهر المحكوم بها عليه في قضايا "الرّقيب". وبعد خروجه انضمّ إلى إخوانه الذين كانوا يعدّون العدّة لخوض معركة التّحرير، ثمّ ألقي عليه القبض في شهر فيفري 1952 وبقي في السّجن إلى نهاية 1953. كما ألقي عليه القبض مرّة أخرى في شهر جوان 1954إثر اغتيال "جندرمي" بنهج حمّام الرميمي بضاحية باب سويقة وأودع محتشد تطاوين وبقي هناك إلى شهر ديسمبر 1954...مقتطف من: المعاوي (علي)، ذكريات وخواطر، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،2007 ،تونس (ظهر الغلاف).

2 ولد الحبيب بورقيبة بمدينة المنستير في 3 أوت 1903. زاول تعليمه الثانوي بمدرسة الصادقية ثمّ بمعهد كارنو . بعد إتمام دراسته العليا في الحقوق بفرنسا عاد إلى تونس سنة 1927 لمباشرة مهنة المحاماة. وقد بدأ نشاطه السياسي بتحرير المقالات الصحفية في جريدة صوت التونسي. وفي نوفمبر 1932 قام الحبيب بورقيبة صحبة نخبة من رفاقه الشبّان بتأسيس جريد العمل التونسي (l'action tunisienne). وقد انضمّ الحبيب بورقيبة سنة 1933 إلى اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي ثم انسحب منها في نفس السنة.

و في 2 مارس 1934، قام الحبيب بورقيبة ورفاقه المنسحبين من الحزب الجر الدستوري التونسي بتنظيم مؤتمر خارق للعادة للحزب بقصر هلال حيث تقرر حل اللجنة التنفيذية وإحداث ديوان سياسي برئاسة محمود الماطري. وقد اعتمد الحبيب بورقيبة سياسة متصلّبة تجاه المستعمر، ممّا جعله يتعرّض هو ورفاقه المناضلين إلى السّجون والمنافي. وفي سنة 1945 وإثر انتهاء الحرب العالمية الثانية، قرّر الحبيب بورقيبة الهجرة إلى الشرق من أجل تدويل القضية التونسية وكسب أنصار لها في الخارج، إلاّ أنّه لم يتوفّق في هذه المهمّة فقرر العودة إلى أرض الوطن في سبتمبر 1949 من أجل جمع صفوف الحزب الذي انقسم إلى يوسفيين وبورقيبيين بعد مؤتمر دار سليم المنعقد في 17 أكتوبر1948. وقد تمكّن الحبيب بورقيبة في ظرف وجيز بعد عودته من الشّرق من استعادة مكانته في الحزب التي هدّدها صالح بن يوسف بشكل جدّي طيلة فترة غيابه عن الساحة الوطنية.

سنة 1950 زار الحبيب بورقيبة فرنسا من أجل عرض نقاطه السبع على الحكومة الفرنسية، وقد لقي مسانده من الحزب الإشتراكي الفرنسي ممّا فسح له المجال بالقيام بحملة موسّعة في فرنسا من أجل التعريف بمبادرته الجديدة. وقد شارك الحزب الحر الدستوري الجديد ممثلا بصالح بن يوسف في حكومة شنيق التفاوضية التي لم تدم طويلا بسبب تعيين جان دو هوتكلوك (Jean de Hauteclocque) كمقيم عام جديد على البلاد، الذي اعتمد سياسة تعسّفية تجاه الوطنيين التونسيين. وقد تمّ نفي الحبيب بورقيبة سنة 1952 إلى جزيرة جالطة تزامنا مع اندلاع الثورة المسلّحة، التي تواصلت إلى تاريخ مجيء بيار منداس فرانس(Pierre Mendès France)إلى تونس في 31 جويلية 1954 معلنا بداية مرحلة جديدة في العلاقات بين تونس وفرنسا.

انتهت جولات التفاوض بين الجانب التونسي والفرنسي بالإمضاء على اتفاقيّات الإستقلال الدّاخلي في 3 جوان 1955 التي قبل بها الحبيب بورقيبة وأنصاره، بينما عارضها اليوسفيون بشدّة، ممّا أدّى إلى نشوب صراع عنيف بين الجانبين انتهى إلى اغتيال الزّعيم صالح بن يوسف في 12 أوت 1961.

3 جان نويل كابفيرير، الشّائعات الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم، ترجمة تانيا ناجيا، دار السّاقي، بيروت 2007، ص11.

4 جان نويل كابفيرير، مرجع ساابق،ص13.

5 جان نويل كابفيرير، مرجع ساابق ، ص11.

6 أبي الفضل جمال الدّين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (د.ت)،المجلّد الثّامن، ص 191.

7 معجم المعاني: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/إشاعة/ ت.ت: 29/ 05/ 2020

8 المعجم الوجيز، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة 1989، ص 357.

9 وضّاح زيتون ، المعجم السياسي، دار أسامة للنشر والتوزيع،لأردن 2010، ص 35.

10 سامي عوض، معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان، الأردن 2008، ص45.

11 علي حسن الشرفي، أحكام الشائعات في القانون العقابي المقارن، أعمال ندوة أساليب مواجهة الشائعات، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض 2001، ص 124.

12 حميدة سميسم، الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر، بغداد 2004، ص 92.

13 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 24.

14 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 20.

15 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر ، ص 23.

16 محمد أديب السلاوي ، مقال: " الإشاعة"، https://www.hespress.com/writers/413623.html ت.ت: 29/ 05/ 2020

17 حميدة سميسم، مرجع مكرّر، صص 92،93.

18 ينتمي صالح بن يوسف (1908-1961) إلى أسرة ثريّة أصيلة جزيرة جربة، بدأ تعليمه في قرية ميدون ثم واصله بالعاصمة، حيث التحق بمعهد كارنو، وبعد الحصول على الباكالوريا تحوّل إلى باريس والتحق بجامعة السربون حيث تحصّل على الإجازة في القانون سنة 1933. وخلال إقامته بفرنسا أسّس أوّل شعبة دستوريّة بباريس (1931)، باشر صالح بن يوسف المحاماة منذ 1934...و في بداية 1935 وقع اعتقاله وإبعاده إلى الصّحراء، ثم تجدد حبسه قبل أحداث 9 أفريل 1938 بقليل، وإيداعه مدّة خمس سنوات في سجون ومعتقلات عديدة منها حصن سان نيكولا بمرسيليا وسجن مون ليك قرب ليون، إلى أن أفرج عنه الألمان في 1943، وأصبح صالح بن يوسف أمينا عاما للحزب الحر الدستوري الجديد، ونجح في تكوين نسيج من الجمعيات والمنظمات لمعاضدة المجهود الوطني، وكانت له علاقات متميزة مع عائلة الأمين باي وخاصة مع ابنه الشاذلي، وفي أوت 1950 قبل صالح بن يوسف تولي منصب وزير العدل في الحكومة التفاوضية التي شكلها محمد شنيق، ولكنه لجأ سنة 1952 بعد تصاعد موجة القمع الإستعماري، وواصل نشاطه السياسي في المهجر ولم يعد إلى تونس إلا في سبتمبر 1955 معلنا معارضته لاتّفاقيات الإستقلال الداخلي، ما دفعه إلى الدخول في صراع مفتوح مع بورقيبة، وكان ذلك سببا في فصله عن الحزب الحر الدستوري الجديد، وفي ملاحقة أنصاره، وأدى تشديد الخناق على بن يوسف إلى خروجه من تونس في جانفي 1956 ولجوئه مجددا إلى مصر حيث واصل معارضته لنظام بورقيبة إلى تاريخ اغتياله في 12 أوت 1961.أنظر: نور الدين الدقّي، تونس من الإيالة إلى الجمهورية (1814-2014)، المنشورات الجامعية بمنوبة، تونس 2016، ص 331.

19 المجلس الملّي للحزب، هو مؤتمر مصغّر يضمّ الديوان السياسي وبعض القيادات الجهويّة للشعب الدستورية.

20 المنظّمات الوطنية الثلاث هي: الإتحاد العام التونسي للشغل، منظّمة الأعراف، الإتّحاد العام للفلاحة.

21 محمود الماطري، مذكرات مناضل، دار الشروق،تعريب:حمادي الساحلي، تونس 2005، ص 121.

22 CADN, Fonds:Tunisie, Série:2e, 2 Mi 331,volume 1867, document: Note sur le congrès du Néo Destour datée au 22 octobre 1948.

23عبد الجليل بوقرة، بورقيبة بلسان بورقيبة،محاضرات بورقيبة بمعهد الصّحافة عن تاريخ الحركة الوطنيّة(حياتي، آرائي، جهادي)،دار آفاق- برسبكتيف للنشر ، تونس 2015، ص.250.

24 " Il (Salah Ben Youssef) voulait engager le Néo-destour dans la voie de la modération, répudier la lutte révolutionnaire basée sur l'agitation des masses et faire pression sur la France par des méthodes politiques misant sur la bourgeoisie et les contacts directs avec le Palais." In Slimen Ben Slimen, souvenirs politiques, Cérès Productions, p 263.

25" Il valait mieux que les leaders au lieux de" pourrir" dans des cellules soient présents à la tête du parti et mènent la guerre froide au gouvernement (Mongi Slim) " In CADN, Fonds:Tunisie, Série:2e, 2 Mi 331, volume 1867, document: Note sur le congrès du Néo Destour datée au 22 octobre 1948.

26 نور الدين الدقي،المنجي سليم:رجل المهام الصّعبة (1908-1969)،جامعة منوبة،المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس 2017، ص.22(مراسلات مع الحبيب بورقيبة).

27 " Cette action consistera pour le moment à obtenir en Afrique du nord une agitation armée, émeutes, grèves, attentats ". Arch.MAE,Série :T,Carton :2,Dossier :3,Bourguiba :L'homme+séjours,Tunisie :1950-1955,(Bobine640 ISHTC),document :10 (avril 1948).

28 علي المعاوي ، ذكريات وخواطر، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2007، ص342.

29 أنظر : محمد لطفي الشايبي، الحركة الوطنيّة التّونسيّة والمسألة العمالية النقابية:معا لافتكاك الإستقلال(1944-1956)،الجزء الأوّل، تونس 2015، ص 361.

30 حميدة سميسم ، مرجع مكرّر، ص93.

31 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص19.

32 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 20.

33 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 15.

34 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 23 (Viansson-Ponté (Pierre), Le Monde, 28 septembre 1977).

35 علي المعاوي، مصدر سابق، ص339.

36 لقد تعرّض الأستاذ محمد لطفي الشّايبي بكلّ تفصيل إلى هاته المسألة في كتابه المذكور " الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمالية النقابية..." تحت عنوان: " الحملة الإستعمارية الفرنسية العاتية ضد الحزب الحر الدستوري الجديد: "المرآة" التونسية و"الحوادث" المصرية"، وقد تساءل قائلا: " وكان أوّل سؤال وجب على المؤرّخ طرحه: من هي جريدة المرآة؟ وهل كانت لها ارتباط بإدارة الحماية التي يشرف عليها المقيم العام الماصوني "جون مونص"؟ ومن هي جريدة الحوادث؟ وهل كان لها ارتباط بالسفارة الفرنسية بالقاهرة؟"، أنظر: محمد لطفي الشايبي، الحركة الوطنيّة التّونسيّة والمسألة العمالية النقابية:معا لافتكاك الإستقلال(1944-1956)،الجزء الأوّل، تونس 2015، ص 269.

37 علالة العويتي هو من المناضلين الدّستوريين أصيل جهة المنستير. ولد في 8 ماي 1913 وتوفي في 27 فيفري 1993. لقد شارك الحبيب بورقيبة السجون والمنافي في عدّة فترات، وكان من المخلصين له ومن المرافقين الدائمين " للمجاهد الأكبر" سواء قبل الإستقلال أم بعده.

38 محمد لطفي الشّايبي، مرجع سابق، ص 295.

39 علي المعاوي، مصدر مكرر، ص 346.

40 علي المعاوي، مصدر مكرر، ص 348.

41 " Mohamed Zakhama, chef de la cellule de Banana, qui présidait la fameuse réunion, a envoyé des lettres à certaines journaux de langue arabe, pour démentir formellement les incidents qui ont émaillé la séance.", In Archive de la Résidence de France en Tunisie, (Bobine R 231, ISHTC), C 1906, D 2, doc 505 (exclusion de Bourguiba).

42 علي المعاوي ، مصدر مكرر، ص 349

43 علي المعاوي ، مصدر مكرر، ص 339

44 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 25.

45 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 27.

46 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 16.

47 جان نويل كابفيرير، مرجع مكرّر، ص 15.

48 محمد أديب السلاوي، مرجع سابق(مقال الإشاعة).

49 جمال محمّد خليفة المري، الأمن القومي، أكاديمية شرطة دبي، الإمارات 2005.

50 حميدة سميسم ، مرجع مكرّر، ص 91.

51 محمد أديب السلاوي، مرجع مكرّر.

52 عبد الجليل بوقرة، مصدر سابق، ص 250.

53 محمد أديب السلاوي، مرجع مكرّر(مقال الإشاعة).

54 محمد أديب السلاوي ، الإشاعة كاستراتيجية الحروب السياسية، صحيفة أخبارنا المغربية، 21 سبتمبر 2017، الموقع الإلكتروني: https://www.akhbarona.com/writers/155405.html ، ت.ت: 2020/05/29.

55" Ne parlons pas des morts ",.", Archive de la Résidence de France en Tunisie, (Bobine R 231, ISHTC), C 1906, D 2, doc 445.

56 " Si Bourguiba revient, il n'aura plus sa place parmi nous.", Archive de la Résidence de France en Tunisie, (Bobine R 231, ISHTC), C 1906, D 2.doc: 326.

57" Je viens de vous exposer toute l'œuvre du Djerbien Salah Ben Hadj Sliman Ben Youssef. Vous pouvez la juger et je suis prêt à affronter vos critiques. (Aucune protestation de l'assistance)... Voilà le bilan de Mons, le bilan de Kaak, le bilan de Salah Ben Youssef. J'ai la confiance du peuple, de Sidi Lamine, des chambres consulaires, des groupements agricoles, des fédérations de fonctionnaires, de l'UGTT, de la Société de Bienfaisance, de la colonie israélite et naturellement de vous-mêmes. Je demande votre collaboration. Je n'ai pas besoin d'argent, je suis riche et le parti également ", CADN, Fonds : Protectorat de Tunisie, série : 2ème versement, n° de l'article : 2 Mi 331/ Volume 1867 (2), document : Activités de Salah Ben Youssef (20 juillet 1949).

58 "M. Habib est une des plus grandes intelligences de ce pays voire de ce siècle." In L'action, tunisienne, "...ET SALAH BEN YOUSSEF», Le 21 octobre 1955.